

المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

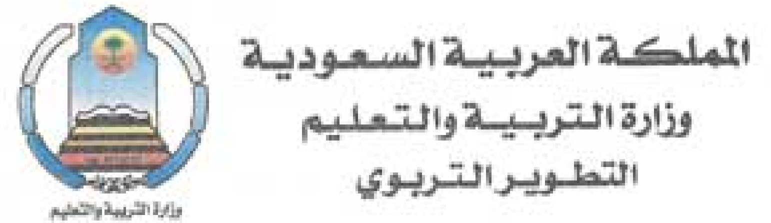


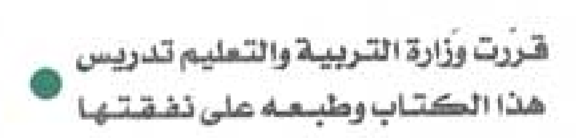
التوحيد

للصف الأول الثانوي



طبعة ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م







للصف الأول الثانوي

تأليف

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

طبعة
١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية - وزارة التربية والتعليم
التوحيد : للصف أول ثانوي ، - ط٣ . - الرياض .
٧٢ ص - ٢١ × ٢٣ سم
ردمك ٠-١٩٩-١٩-٩٩٦٠
١- التوحيد - كتب دراسية ٢- التعليم الثانوي
السعودية - كتب دراسية أ- العنوان
ديوي ٢٤٠,٧١٢ ١٩/٢١٣٠

أشرف على الإعداد والإنتاج

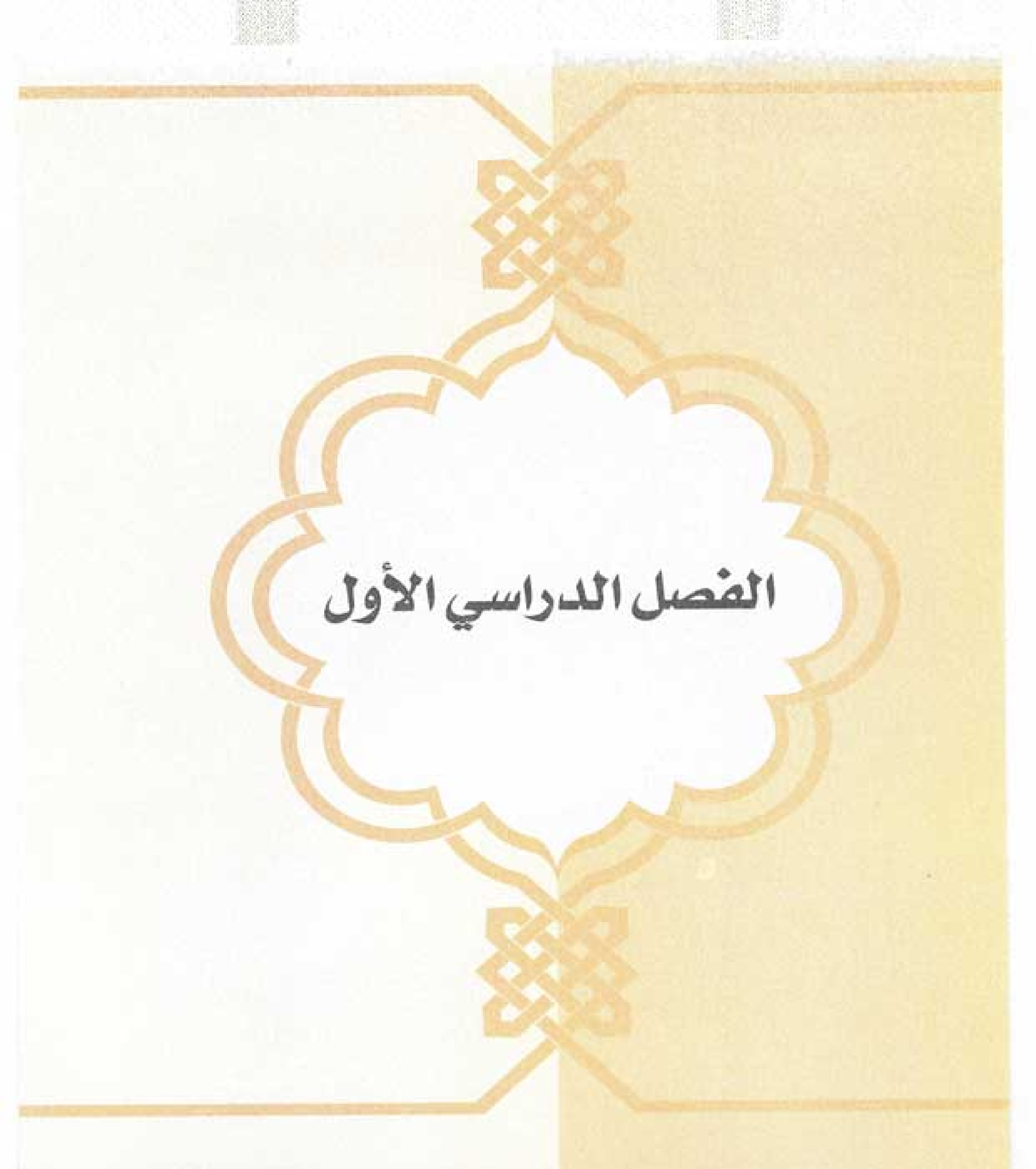


لهذا الكتاب قيمة مهمة وفائدة كبيرة فلنحافظ عليه ولنجعل نظافته تشهد على حسن سلوكنا معه ...

إذا لم نحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتنا الخاصة في آخر العام للاستفادة فلنجعل مكتبة مدرستنا تحتفظ به ...

موقع الوزارة
www.moe.gov.sa
موقع الإدارة العامة للمناهج
www.moe.gov.sa/curriculum/indc.htm
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمناهج وحدة العلوم الشرعية
runit@moe.gov.sa


بسم الله الرحمن الرحيم



الفصل الدراسي الأول

الباب الأول

معنى الإسلام وأصول العقيدة

ويتكوّن من الفصول الآتية :




الفصل الأول

بيان معنى الإسلام وأنه دين جميع الرسل

معنى الإسلام :

الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله ، وهو دين جميع الأنبياء عليهم السلام وإن اختلفت شرائعهم ؛ لأن الإسلام معناه عبادة الله تعالى بما شرعه في كل وقت بحسبه . قال الله تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (سورة يونس).

وقال عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ (سورة البقرة).

وقال عن موسى عليه السلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (سورة يونس).

وقال عن حواريّي المسيح : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (سورة المائدة).

وقال فيمن تقدم من الأنبياء : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ (سورة المائدة الآية ٤٤).

وهو دين سليمان ، قال تعالى عن بلقيس : ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة النمل).

فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده. فمن استسلم له ولغيره كان شركاً. ومن لم يستسلم له كان مستكبراً . والمشرك والمستكبر عن الإسلام كل منهما كافر . والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده – فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره – كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (سورة آل عمران).



وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت ، فإذا أمر في أول الأمر باستقبال الصخرة ، ثم أمرنا ثانياً باستقبال الكعبة كان كل من الفعلين حين الأمر داخلاً في الإسلام . فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين ، وإنما تنوع بعض صور الفعل وهو وجهة المصلي ، فكذلك الرسل وإن تنوعت الشرعة والمنهاج والوجهة والمنسك فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحداً كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد[1] . وقد قال لنا : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (سورة البقرة).

فأمرنا أن نقول آمنا بهذا كله ونحن له مسلمون. فمن بلغته رسالة محمد ﷺ ، فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلماً ولا مؤمناً ، بل يكون كافراً وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن ؛ لأنه بعد بعثة محمد ﷺ صار الإسلام هو الإيمان به واتباعه ، ومن لم يؤمن به ويتبعه فليس بمسلم وإن زعم أنه على دين نبي من الأنبياء؛ لأن جميع الأديان السماوية نُسخت بدين محمد ﷺ ، وهو خاتم النبيين ، فالذي يتبع غير دين محمد ﷺ إنما يتبع ديناً منسوخاً قد انتهى العمل به . قال تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (آل عمران).

وهذا إذا سلم شيء من الأديان السابقة من التغيير والتبديل والتحريف فهو منسوخ لا يجوز العمل بشيء منه إلا ما أقره الإسلام.

ودين الإسلام يتكون من عقيدة وشريعة : العقيدة هي الأساس الذي تبنى عليه جميع الأعمال والتصرفات والتصورات التي تصدر من العبد ، والشريعة هي المنهج الذي يسير عليه العبد في تلك الأعمال والتصرفات . ولأجل أن تكون العقيدة سليمة لابد أن تكون على وفق ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب خالية من الشرك ، ولأجل أن يكون المنهج سليماً لابد أن يكون على وفق ما شرعه الله لعباده خالياً من البدع.

فالعقيدة هي ما يؤمن به الإنسان إيماناً جازماً ، ويعقد عليه قلبه ويتيقّنه في قرارة نفسه.

(١) التدمرية صفحة ٣٢٢ لشيخ الإسلام مع شرحها للشيخ فالح بن مهدي .





أصول العقيدة وذكر أدلتها من الكتاب والسنة :

وعقيدة الإسلام تُبْنَى على أصول وأركان ستة لا تصح إلا إذا وجدت وتحققت :

وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره ، وهذه الأركان دل عليها الكتاب والسنة . أما الكتاب ففي قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (الآية ١٧٧ من سورة البقرة).

وقوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ (الآية ٢٨٥ من سورة البقرة).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة القمر).

كما أن الإيمان بالله وبكتبه ورسله يستلزم الإيمان بالقضاء والقدر ؛ لأن القضاء والقدر من أفعال الله تعالى ، ومما أخبرت به كتبه ورسله - وقد قال النبي ﷺ : «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[١] فمن جحد شيئاً من هذه الأركان ولم يؤمن به ويعتقده فهو كافر - لأنها أصول العقيدة وأركانها - والشيء لا يوجد إلا بوجود جميع أركانه . وهذه هي الأركان الباطنة وأما الأركان الظاهرة فهي خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلاً وهذه تسمى أركان الإسلام ، وتسمى تلك أركان الإيمان ، وكلاهما لابد منه .

الإيمان بالله تعالى :

فالأصل الأول هو الإيمان بالله تعالى - وهو أصل الأصول - وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه ، وأنه الخالق وحده ، المدبر للكون كله . وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا

---

(١) رواه مسلم.



شريك له . وأن كل معبود سواه فهو باطل وعبادته باطلة ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ (سورة الحج).

وأنه متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال . له الأسماء الحسنى - منزه عن كل نقص وعيب ، لا يسمى ولا يوصف إلا بما سمى به نفسه ووصف به نفسه أو سماه به ووصفه به رسوله محمد ﷺ .

ما يشمله الإيمان بالله :

يشمل الإيمان بالله التوحيدَ بأنواعه الثلاثة :

- **توحيد الربوبية** : وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه من الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير .
- **توحيد الألوهية** : وهو توحيد الله بأفعال العباد التي يتقربون بها إليه ، كالدعاء والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة ، والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وسائر الطاعات.
- **توحيدَ الأسماء والصفات** : وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات ، وتنزيهه عما نزه نفسه عنه أو نزهه عنه رسوله من النقص والعيب . كما سيأتي مفصلاً إن شاء الله.

الأسئلة :

١ - ما معنى الإسلام ؟ اذكر الأدلة على أنه دين جميع الأنبياء ، وكيف يمكن ذلك مع تعدد الشرائع ؟

٢ - ما حكم من بقي على شريعة سابقة بعد بعثة محمد ﷺ ؟ واستدل لما تقول .

٣ - ما الفرق بين العقيدة والشريعة ؟ ومتى يكون كل منهما سليماً صحيحاً ؟.

٤ - عرِّف العقيدة ، واذكر أركان عقيدة الإسلام إجمالاً مستدلاً لهذه الأركان من الكتاب والسنة . وما حكم من جحد شيئاً من هذه الأركان ؟ ولماذا ؟

٥ - ما معنى الإيمان بالله تعالى ؟ وما الدليل على ما تقول ؟ وماذا يشمل الإيمان بالله ؟






الفصل الثاني

الإيمــان بالملائكـة

الملائكة خلق من خلق الله تعالى وعباد لله لا يعلمهم إلا هو . فهم من عالم الغيب . والملائكة جمع ملـك بمعنى رسـول من الألوكـة بمعنى الرسالة . قـال تعـالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ (سورة فاطر).

وقـال تعـالى : ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ ﴾ (سورة المرسلات) يعني الملائكة .

وقـال تعـالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (الحج ٧٥).

وقد خلقهم الله من النور كما في صحيح مسلم ، وأعطاهم القدرة على التشكل بحيث يأتون إلى الناس في صور البشر ؛ لأن الناس لا يستطيعون رؤيتهم في الصور التي خلقوا عليها . فمن رحمة الله تعالى أن جعلهم يأتون إلى البشر بالصورة المناسبة لحالهم كما جاءوا إلى إبراهيم - عليه السلام - في صورة أضياف . وكان جبريل يأتي إلى النبي ﷺ في صورة إنسان ولم يره النبي - ﷺ - في صورته الملكية إلا مرتين كما في الحديث.

كيفية الإيمـان بالملائكـة :

الإيمان بهم هو التصديق بوجودهم ، وأنهم عباد لله خلقهم لعبادته وتنفيذ أوامره في خلقه. والتصديق بأوصافهم وأصنافهم وأعمالهم التي يقومون بها مما ورد ذكره في الكتاب والسنة . والإقرار بفضلهم وشرفهم ، فمنهم حملة العرش ، ومنهم المقربون ، ومنهم الموكَّلون بالجنة وإعداد الكرامة لأهلها، ومنهم الموكَّلون بالنار وهم الزبانية وخزنة جهنم ، ومنهم الموكَّلون بحفظ بني آدم وحفظ أعمالهم وكتابتها، ومنهم الموكَّلون بشأن النطفة والأجنة في الأرحام ، ومنهم الموكَّلون بقبض الأرواح عند الوفاة ، ومنهم الموكَّلون بسؤال الميت حين يوضع في قبره عن ربه ودينه ونبيه ، ومنهم الموكَّلون بالوحي وتبليغه



الرسل ، ومنهم الموكَّلون بالرياح والسحاب والنبات إلى غير ذلك من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله مع عبادتهم لله وخوفهم منه وتسبيحه والسجود له سبحانه . فلابد من اعتقاد ما جاء في الكتاب والسنة في شأن الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام.

الأسئلة :

١ - ما المراد بالملائكة ؟ ومم خُلقوا ؟ ولماذا لا يراهم البشر على خِلْقَتهم الحقيقية ؟ وما حكم الإيمان بهم ؟ وماذا يتضمن ؟

٢ - اذكر شيئاً من الأعمال التي يزاولها الملائكة بأمر الله تعالى.

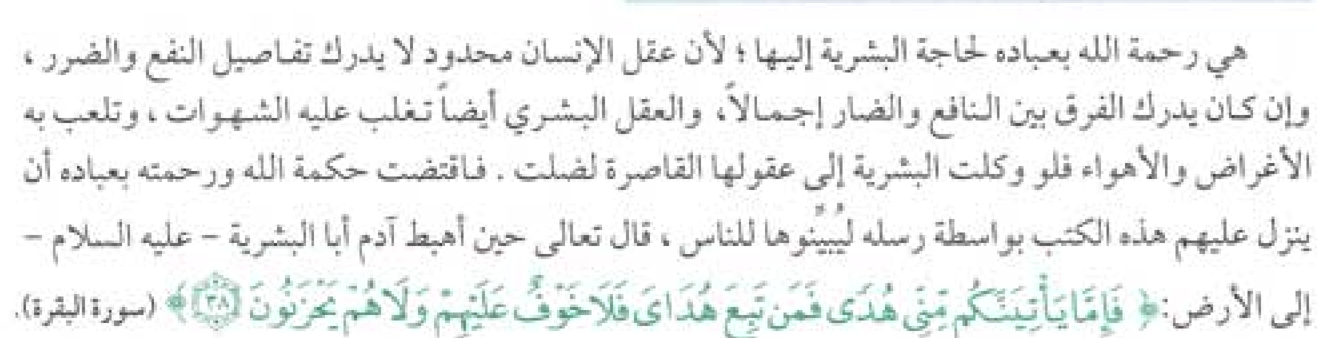



الفصل الثالث

الإيمــان بالكتب الإلهيــة

الإيمان بالكتب الإلهية : التي نزلت على الرسل بأنها حق وصدق ، وأنها كلام الله عز وجل ، فيها الهدى والنور والكفاية لمن أنزلت عليهم . نؤمن بما سمى الله منها وهي : التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، ونؤمن بما لم يسم منها ، فإن لله كتباً لا يعلمها إلا هو سبحانه .

الحكمة في إنزال الكتب السماوية :



هي رحمة الله بعباده لحاجة البشرية إليها ؛ لأن عقل الإنسان محدود لا يدرك تفاصيل النفع والضرر ، وإن كان يدرك الفرق بين النافع والضار إجمالاً ، والعقل البشري أيضاً تغلب عليه الشهوات ، وتلعب به الأغراض والأهواء فلو وكلت البشرية إلى عقولها القاصرة لضلت . فاقتضت حكمة الله ورحمته بعباده أن ينزل عليهم هذه الكتب بواسطة رسله ليبيّنوها للناس ، قال تعالى حين أهبط آدم أبا البشرية - عليه السلام - إلى الأرض: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (سورة البقرة).



أقسام الناس حيال الكتب الإلهية :

١ - قسم كذب بها كلها وهم أعداء الرسل من الكفار والمشركين والفلاسفة والزنادقة .

٢ - وقسم آمن بها كلها وهم المؤمنون الذين آمنوا بجميع الرسل وما أنزل إليهم كما قال تعالى :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (الآية ٢٨٥ من سورة البقرة).

٣ - وقسم آمن ببعض الكتب وكفر ببعضها وهم اليهود والنصارى ومن سار على نهجهم حيث قالوا :

﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ (الآية ٩١ من سورة البقرة).



ولا شك في أن الإيمان ببعض الكتب والكفر ببعضها الآخر ، أو الإيمان ببعض الكتاب الواحد والكفر ببعضه كفر بالجميع . كما قال تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦) ﴾ (سورة البقرة).

كيفية الإيمان بالكتب السماوية :

الإيمان بالكتب السابقة إيمان مجمل - يكون بالإقرار والتصديق بها بالقلب واللسان بأنها كلام الله . أما الإيمان بالقرآن فإنه إيمان مُفَصَّل يكون بالإقرار بالقلب واللسان واتباع ما جاء فيه وتحكيمه في كل كبيرة وصغيرة . والإيمان بأنه كلام الله تعالى حقيقة لفظه ومعناه . منزل غير مخلوق ؛ منه بدأ وإليه يعود .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الكتب السابقة لأجيال معينة ولأوقات محدودة ، ووكَلَ حفظها إلى الذين استُحفظوا عليها من الربانيين والأحبار ، وقد وقع فيها التحريف والتبديل . أما القرآن الكريم فقد أنزله الله لكل الأجيال من جميع الأمم وفي جميع الأوطان إلى يوم القيامة . وتولى سبحانه حفظه بنفسه وتكفل به ؛ لأن وظيفة هذا الكتاب لا تنتهي إلا بنهاية حياة البشر على الأرض .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ (سورة الحجر).

وقال تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) ﴾ (سورة فصلت).

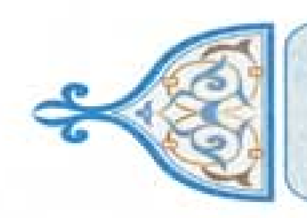
الأســئلة :

١ - ما معنى الإيمان بالكتب الإلهية ؟ واذكر شيئاً من أسمائها . وكيفية الإيمان بها . وما الحكمة من إنزالها ؟

٢ - اذكر أقسام الناس بالنسبة إلى الإيمان بالكتب الإلهية .

٣ - كيف يكون الإيمان بالقرآن الكريم ؟ وما الميزة التي خُصَّ بها من بين سائر الكتب ، ولماذا ؟



الفصل الرابع
الإيمـــان بالرســـل

الرسل جمع رسول وهو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه . فهم الواسطة بين الله وخلقه في تبليغ رسالته إليهم وإقامة الحجة عليهم ووجوب اتباعهم وطاعتهم .

معنى الإيمان بالرسل :

الإيمان بالرسل معناه التصديق برسالتهم والإقرار بنبوتهم ظاهراً وباطناً ، واعتقاد صدقهم فيما أخبروا به عن الله وبلغوه من الرسالات . وأنهم بلغوا غاية البلاغ وبينوا للناس ما لا يسع أحداً جهله .

الحكمة من إرسال الرسل :

إرسال الرسل هو بالإضافة إلى إقامة حجة الله على عباده نعمة عظيمة من الله ؛ لأن حاجة البشرية إليهم ضرورية فلا تنتظم لهم حال ولا يستقيم لهم دين إلا بهم ، فهم يحتاجون إلى الرسل أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب ؛ لأن الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين خلقه في تعريفهم بالله وبما ينفعهم وما يضرهم ، وفي تفصيل الشرائع ، والأمر والنهي ، والإباحة وبيان ما يحبه الله وما يكرهه . فلا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بالرسل . فإن العقل لا يهتدي إلى تفصيل هذه الأمور وإن كان يدرك الضرورة إليها من حيث الجملة . قال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ (الآية ٢١٣ من سورة البقرة).

وحاجة الناس إلى الرسالات أشد بكثير من حاجة المريض إلى الطبيب . فإن غاية ما يحصل بعدم وجود الطبيب تضرر البدن . والذي يحصل من عدم وجود الرسالات تضرر القلوب . ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسالة موجودة فيهم . فإذا عدمت آثار الرسالة قامت القيامة وانتهت الدنيا . وذلك إذا رفع القرآن ولم يبق في الأرض من يقول : الله ، الله كما في الأحاديث.



كيفية الإيمان بالرسل :

يجب علينا الإيمان بجميع الرسل الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن بأعيانهم وهم خمسة وعشرون ، منهم ثمانية عشر ذكرهم الله في قوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (الآيات ٨٣ - ٨٦ من سورة الأنعام).

والباقون وهم سبعة [١] ذُكروا في آيات متفرقة . فهؤلاء نؤمن بأعيانهم ، ومن لم يسم منهم في القرآن وجب الإيمان بهم إجمالاً . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ ﴾ (غافر آية ٧٨) .

والذي يكفر برسول واحد يكون كافراً بجميع الرسل حتى بالرسول الذي زعم أنه مؤمن به . قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ ﴾

(النساء ١٥٠ - ١٥١).

وقال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ (آية ٢٨٥ من سورة البقرة) .

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟

---

(١) وهم : آدم وشيث وإدريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل - عند كثير من المفسرين / انظر تفسير ابن كثير (ج١/ ٥٨٥) مع ملاحظة أن شيثاً لم يرد اسمه في القرآن وإنما ورد في حديث أبي ذر.

بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (سورة البقرة).

وذلك لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام دينهم واحد ، وهم سلسلة واحدة يبشر أولهم بآخرهم ويصدق آخرهم بأولهم . ولأن أدلة نبوتهم متماثلة ، وطريقهم في الدعوة إلى الله واحد، فمن كذب بواحد منهم فهو مكذب للجميع ، لأن هذا الذي كذب به معه من الأدلة على صدق رسالته من جنس ما مع الرسول الذي صدق به أو أبلغ .

والإيمان بمحمد ﷺ يتضمن الإيمان بخصائصه ، ومن أعظمها عمومُ رسالته للناس كافة. وبقاؤها إلى أن تقومِ الساعة . فهو خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، وهو أفضل الرسل على الإطلاق. فمن ادعى النبوة بعده أو صدّق من يدعيها فهو كافر مرتد عن دين الإسلام .

الأسئلة :

١ - ما المراد بالرسل ؟ وما معنى الإيمان بهم ؟ وما الحكمة في إرسالهم إلى البشر ؟

٢ - اذكر الآيات التي بها أسماء بعض الرسل . وما الدليل على أنَّ هناك رسلاً لم تذكر أسماؤهم؟ وما كيفية الإيمان بمن سمي منهم ومن لم يُسَم ؟

٣ - ما حكم من آمن ببعض الرسل وكفر ببعضهم الآخر ؟ مع الاستدلال لذلك.





الفصل الخامس

الايمان باليوم الآخر

اليوم الآخر هو يوم القيامة سمي بذلك لأنه بعد الدنيا .

والإيمان باليوم الآخر : هو أن يصدق بكل ما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه ، وبالبعث بعد ذلك والحساب والميزان والثواب ، والعقاب والجنة والنار ، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة، وسمي باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا . وسمي بعدة أسماء لشدة هوله وما يحدث فيه . وقد دلت على ثبوته ووجوب الإيمان به جميع الشرائع السماوية ، وشهدت به العقول والفطر السليمة. وقد تنوعت أدلة البعث المذكورة في القرآن الكريم .

١ - فتارة يخبر عمن أماتهم ثم أحياهم في الدنيا - كما حصل لقوم موسى الذين قالوا : أرنا الله جهرة ، قال تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (سورة البقرة).

وعن ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾

(الآية ٢٤٣ من سورة البقرة).

وعن الذي مر على قرية خاوية على عروشها وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾

(الآية ٢٥٩ من سورة البقرة).

وعن إبراهيم - عليه السلام - لما سأل ربه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (سورة البقرة).



فالذي قدر على إحياء هؤلاء بعد موتهم في الدنيا قادر على إحيائهم في الآخرة . وكما في قصة القتيل الذي اشتبه بنو إسرائيل في قاتله فلم يعرفوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه بجزء منها ففعلوا فأحياه الله وأخبرهم بقاتله . كما ذكر الله ذلك في أول سورة البقرة قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

٢ - وتارة يُسْتَدلُّ عليه بالنشأة الأولى - فإن الإعادة أسهل من الابتداء في نظر العقول وإن كان الله لا يعجزه شيء . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾

(آية ٥ من سورة الحج).

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (آية ٧٩ من سورة يس).

﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (آية ٥١ من سورة الإسراء).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (سورة الروم).



٣ – وتارة يُستدلُّ على ذلك بخلق السماوات والأرض ؛ فإن خلقهما أعظم من خلق الإنسان وإعادته كقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سورة الأحقاف).

٤ – وتارة يُستدلُّ عليه بتنزيه الله عن العبث كما قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (سورة المؤمنون).

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة القيامة).

فالناس في هذه الدنيا منهم المحسن ومنهم المسيء . وقد يموتون ولا ينال أحدُهم جزاءَ عمله فلابد من دار أخرى يجازون فيها ؛ لأن هذا هو اللائق بحكمة الله وعدله ، وتنزيهه عن العبث والظلم.

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر يحمل الإنسان على العمل الصالح وفعل الإحسان ، والامتناع عن الظلم والعدوان والاستعداد لهذا اليوم ، وعدم الإيمان به على العكس من ذلك يحمل الإنسان على الكفر والفسوق والبغي والعدوان . وأن يعيش كالحيوان المفترس لا يحاسب نفسه عما يفعل ولا يفكر في مصيره.

الأسئلة :

١ – ما المراد بالإيمان باليوم الآخر ؟ وماذا يشمل ؟ ولماذا سمي باليوم الآخر ؟

٢ – اذكر أنواع الأدلة التي ذكرها الله على ثبوت اليوم الآخر .

٣ – اذكر شيئاً من ثمرات الإيمان باليوم الآخر.






الفصل السادس

الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره

والقدر مصدر : قَدَرَ يقْدُرُ قَدَراً ، وقد تُسَكَّن داله . هو ما قضاه الله وحكم به من الأمور [1] - أي الأمور الكونية . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ولفظ القدر يراد به التقدير . ويراد به المقدَّر [2].

والإيمان بالقدر : هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر هو بقضاء الله وقدره ، وأنه الفعال لما يريد.

مذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر :

مذهب أهل السنة والجماعة هو الإيمان بالقدر خيره وشره ، وأنَّ كل ما يحدث في هذا الكون قد علمه الله وقدَّره وأراده فلا يكون في ملكه ما لا يريد .

درجات القضاء والقدر التي يجب الإيمان بها :

والإيمان بالقدر يتضمن أربع درجات :

الدرجة الأولى : الإيمان بعلم الله الأزلي بكل شيء قبل وجوده . ومن ذلك علمه بأعمال العباد قبل أن يعملوها.

الدرجة الثانية : الإيمان بأن الله كتب ما يحدث في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

الدرجة الثالثة : الإيمان بمشيئة الله الشاملة لكل حادث ، وقدرته التامة على خلقه وإيجاده.

الدرجة الرابعة : الإيمان بإيجاد الله لكل المخلوقات . وأنه الخالق وحده . وما سواه مخلوق.

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ١٤٠).



أدلة هذه المراتب الأربع :

من أدلة المرتبة الأولى والثانية قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ (سورة الحج).

ومن أدلة المرتبة الثالثة قوله تعالى :

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة التكوير).

ومن أدلة المرتبة الرابعة قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ (سورة الزمر).

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (سورة الصافات).

من ثمرات الإيمان بالقدر :

١ - صحة إيمان العبد بتكامل أركان الإيمان لديه ؛ لأن من أنكر القدر لا يكون مؤمناً ؛ لأنه نقض ركناً من أركان الإيمان.

٢ - ومن ثمراته : طُمأنينة القلب وارتياحه وعدم القلق في هذه الحياة عندما يواجه المكاره ؛ لأنه إذا علم أن الذي يصيبه مقدر عليه لابد له منه فإنه لا يقلق ولا يجزع ، بل يصبر ويرضى ويسلم.

٣ - أن الإيمان بالقدر يدفع إلى العمل والتوكل على الله ولا يكون الإنسان أسير الأوهام والخضوع للمخلوقين ؛ لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وأن الخلق ليس بأيديهم عطاء ولا منع ولا ضر ولا نفع إلا بإذن الله تعالى والله أعلم.



الأسـئلة :

١ – ما المراد بالقدر ؟ وما مذهب أهل السنة والجماعة حياله ؟
٢ – اذكر الدرجات التي يتضمنها الإيمان بالقدر مستدلاً لها .
٣ – اذكر شيئاً من ثمرات الإيمان بالقدر.

الباب الثاني

براهين وحدانية الله تعالى واستحقاقه للعبادة دون سواه

ويتكوّن من الفصول الآتية :

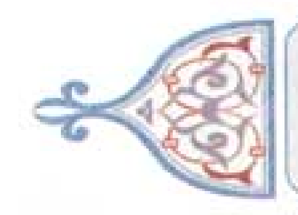


أهمية الإيمان بالله :

الإيمان بالله سبحانه هو الأصل الأول من أصول الإيمان كما تقدم بيانه - وهو يتضمن الإقرار بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته - ولأهمية هذا الأصل وكونه أصل الأصول ولب العقيدة اقتضى الأمر التركيز عليه بصفة خاصة وبيان أدلته حتى يترسخ في نفس المسلم، وليتمكن من رد الشبه التي يروجها المشركون والملحدون.

مكانة التوحيد في القرآن الكريم :

غالب سور القرآن في التوحيد، بل كل سور القرآن في التوحيد؛ لأن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في الآخرة من العذاب فهو جزاء من خرج عن التوحيد - فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

الفصل الأول

برهـــان الفطـــرة

الفطرة: مأخوذة من الفَطْر - بفتح الفاء وسكون الطاء - وهو الابتداء والاختراع. ويراد بها الطبع والجبلة. ويراد بها هنا دين الإسلام. كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الآية ٣٠ من سورة الروم).

وقال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»[١] ومعناها أن فطرته مقتضية لدين الإسلام والإقرار به ومحبته. فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقها ومحبته وإخلاص الدين له. وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض. فقد دل الكتاب والسنة والآثار واتفاق السلف على أن الخلق مفطورون على دين الله الذي هو معرفته والإقرار به ومحبته والخضوع له، وأن ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها يجب حصوله فيهم إن لم يحصل ما يعارضه ويقتضي حصول ضده[٢]. فكل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن له صانعاً[٣].

فالإقرار بالخالق مركوز في الفطر - وإنما تظاهر من تظاهر بإنكاره كفرعون من باب المكابرة والعناد. ولهذا قال له موسى عليه الصلاة والسلام كما قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (آية ١٤ من سورة النمل).

وقال تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (سورة العنكبوت).

---

(١) في الصحيحين. (٢) ابن القيم في شفاء العليل صفحة ٣٨٨، ٤٠٥. (٣) ابن الأثير في النهاية (٣/ ٤٥٧).

(٤) الآية ١٠٢ من سورة الإسراء. والآية التي قبلها: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾



فالآيات تدل على أن هؤلاء الكفار يعرفون الخالق سبحانه بموجب فطرهم، ويتجهون إليه في حال ضروراتهم كما قال تعالى:

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (آية ٦٧ من سورة الإسراء).

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (آية ٣٢ من سورة لقمان).

فدل ذلك على أن النفوس البشرية مفطورة على الإقرار بالخالق، ولكن يعرض لها صوارف تغطي هذه الفطرة. فإذا حصلت الشدة انقشعت هذه الصوارف وعادت النفوس إلى فطرتها الحقيقية فاتجهت إلى خالقها وحده تطلب منه النجاة والإنقاذ. وإنك لتجد هذا الاتجاه الفطري في الأطفال والعوام الذين لم يتعلموا طرق الاستدلال. تجدهم يتجهون إلى الله دون مرشد يرشدهم من الخلق إلى ذلك أو يلقنهم إياه **(فطرة الله التي فطر الناس عليها)** مما يدل على أن إثبات الخالق أمر فطري ضروري وإن تظاهر بعض المتكبرين والمكابرين بإنكاره فهم إنما ينكرون فطرتهم وعقولهم. وكذلك من اتجهوا بعباداتهم ودعواتهم إلى سواه من الأوثان والقبور والأولياء والصالحين يخالفون مقتضى الفطرة التي فطروا عليها؛ لأنهم قد اجتالهم عنها شياطين الإنس والجن، وأعمى بصائرهم التقليد الأعمى، ولو رجعوا إلى عقولهم لاستعادوا فطرتهم التي سلبت منهم بأيدي أعدائهم، ولهذا احتج الله عليهم بما استقر في فطرتهم من معرفته والإقرار بوحدانيته في الخلق والتدبير على ما أنكروه من وحدانية في الألوهية والعبادة. حيث عبدوا معه غيره. واتجهوا إلى سواه، فقال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (آية ١٤ من سورة النمل).

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ (الإسراء ١٠٢).

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨ ﴾

(سورة العنكبوت).

وذلك لما دعتهم الرسل إلى عبادة الله.



الأسـئلة :

١ - بيّن كيفية اشتمال القرآن الكريم على بيان التوحيد وأدلته ، ولماذا ؟

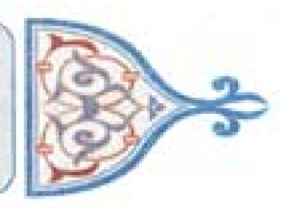
٢ - بيّن المراد بالفطرة . وما الدليل على أن كل مولود يولد عليها . وما معنى ذلك ؟

٣ - اذكر شيئاً من الأدلة على أن الفطرة تعرف الخالق وتقر به.

٤ - كيف تجيب عن كون بعض الخلق كفرعون والشيوعيين أنكروا وجود الخالق ؟ وما الأدلة على بطلان قولهم ؟

٥ - ما السبب في كون المشركين يخلصون لله في حال الشدة ؟

٦ - ما وجه الاستدلال بالفطرة على بطلان الشرك ؟



الفصل الثاني

برهــان الخلــق والإبــداع



من أعظم البراهين على وحدانية الله تعالى الخلق والإبداع الذي انفرد الله تعالى به وأقامه دليلاً على استحقاقه للعبادة وبطلان عبادة ما سواه. قال تعالى: ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾ (سورة الرعد).

أي هل هؤلاء الذين اتخذوا شركاء لله خلقوا خلقاً يشبه ما خلقه الله حتى يشركوهم معه في العبادة ويساووهم به ؟! كلاً ليس الأمر كذلك ؛ فإن الله هو المنفرد بالخلق والإبداع فيجب أن يفرد بالعبادة – وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (سورة النحل)

﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ (سورة لقمان الآية ١١).

ولهذا حث سبحانه على النظر في آياته الكونية الدالة على وحدانيته في الخلق والإبداع واستحقاقه للعبادة دون سواه وذلك :

١ – في النظر في الأرض وما بث فيها من مخلوقات :

قال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة الذاريات).

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ (سورة النبأ).

وقال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ (سورة ق).

وقال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الرعد).

وفي هذه الآيات الكريمة يوجه سبحانه الأنظار إلى التفكير في خلق الأرض من حيث سعة رقعتها حتى تستوعب المخلوقات التي تعيش على ظهرها على اختلاف أصنافها وطبائعها ، وجعلها ممدودة ممهدة مثبتة بالجبال الرواسي لئلا تميد بأهلها . وأنبت فيها من مختلف النباتات التي يقتات منها سكان تلك الأرض ؛ وهي على رغم اتحاد منبتها ومادة سقيها مختلفة الطعوم والروائح والمنافع مما يدل على قدرة خالقها ، وسعة علمه ، وبالغ حكمته ، وواسع رحمته ، وانفراده بالخلق والإبداع ، واستحقاقه للعبادة :

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين ناظرات ... بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

قال العلامة ابن القيم : ثم تأمل خلق الأرض على ما هي عليه حين خلقها واقفة ساكنة لتكون مهاداً ومستقراً للحيوان والنبات والأمتعة . ويتمكن الحيوان والناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس لراحاتهم والنوم لهدوئهم ، والتمكن من أعمالهم . ولو كانت رجراجة متكفئة لم يستطيعوا على ظهرها قراراً ولا هدوءاً ولا ثبت لهم عليها بناء ، ولا أمكنهم عليها صناعة ولا تجارة ولا حراثة . ثم تأمل الحكمة العجيبة في الجبال التي يحسبها الجاهل الغافل فضلةً في الأرض ولا حاجة إليها وفيها من المنافع ما لا يحصيه إلا خالقها وناصبها - فمن منافعها أن الثلج يسقط عليها فيبقى في قللها حاصلاً لشراب الناس إلى حين نفاده ليذوب أولاً فأولاً فتجيء منه السيول الغزيرة وتسيل منه الأنهار والأودية فينبت في المروج والوهاد والربا ضروب النبات والفواكه والأدوية التي لا يكون مثلها في السهل والرمل ، ومن منافعها ما يكون في حصونها وقللها من المغارات والكهوف المعاقل التي هي بمنزلة الحصون والقلاع ، وهي أيضاً أكنان للناس والحيوان ، ومن منافعها ما ينحت من أحجارها للأبنية على اختلاف أصنافها، ومن منافعها ما يوجد فيها من المعادن على اختلاف أصنافها . ثم تأمل الحكمة الإلهية في إخراج الأقوات والثمار والحبوب والفواكه متلاحقة شيئاً بعد شيء متتابعة ولم يخلقها كلها جملة واحدة . فإنها لو خلقت كذلك على وجه الأرض ولم تكن تنبت على هذه السوق والأغصان لدخل الخلل وفاتت المصالح التي رتبت على تلاحقها وتتابعها فإن كل فصل وأوان يقتضي من الفواكه والنبات غير الذي يقتضيه الفصل الآخر . ثم إنه سبحانه خلق تلك الأقوات مقارنة لمنافع أخر من العصف والخشب والورق والنور والسعف

والكرب وغيرها من منافع النبات والشجر غير الأقوات كعلف البهائم وأداة الأبنية والسفن والرحال والأواني وغيرها . ومنافع النور من الأدوية والمنظر البهيج الذي يشوق الناظرين . وحسن مرائي الشجر وخلقتها البديعة شاهدة لفاطرها ومبدعها بغاية الحكمة واللطف[1] فهذا برهان قاطع على وحدانية الله وقدرته وقهره وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له والمستحق للحمد والشكر .

٢ - النظر في السماء وما فيها من الكائنات :

قد يراد بالسماء كل ما علا وارتفع ، ويراد بها في الغالب السماء المبنية والسبع الطباق التي جعلها الله سقفاً لما تحتها - قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة الأنبياء).

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ (سورة نوح).

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الملك).

فتأمل خلق السماء وارجع البصر فيها كرة بعد كرة كيف تراها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها . لا عمد تحتها ولا علاقة فوقها . بل هي ممسوكة بقدرة الله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا . ثم تأمل استواءها واعتدالها فلا صدع فيها ولا فطر ولا شق . ثم تأمل ما زينت به السماء الدنيا من المصابيح المتوقدة الجميلة ، وانظر إلى هذه الشمس المشرقة والقمر المنير . ثم تأمل في هذا الفضاء الواسع بين السماء والأرض يسير فيه السحاب وتحلق فيه الطير بأجنحتها ما يمسكهن إلا الله وتحلق فيه السفن الفضائية والطائرات الفخمة التي تقل الجماعات الكبيرة من الناس وتحمل الأثقال العظيمة من الأمتعة ولهذا يوجه الله الأنظار للتفكر في هذه الآيات الكونية العلوية قال تعالى :

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة الذاريات).

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (سورة الذاريات).

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة ق).

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة صفحة ٢٣٦ ، ٢٤٣ - ٢٤٤ .

في الآية الأولى يخبر أن رزق العباد في السماء وهو المطر الذي ينبت الله به الزروع والأشجار المثمرة . وفيها ما يوعدون من الجنة والثواب . وفي الآية الثانية يخبر سبحانه عن السماء أنها من جملة مخلوقاته مع عظمها وسعتها مما يدل على عظمة خالقها وقوته وقدرته . وفي الآية الثالثة يحث على النظر والتفكر في السماء التي فوق العباد وما فيها من إحكام البناء وقوته ، وصفاء اللون ، وزينة الكواكب وسلامتها من الشقوق والتصدع مع سعتها وامتدادها - كل هذه الآيات في السموات تدل على وحدانية الخالق وعظيم قدرته ، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له ، فكما أنه لا شريك له في خلق هذه الأشياء العظيمة فلا يجوز أن يشرك معه أحد في عبادته ممن ليس له خلق ولا إبداع ولا تدبير . فهي برهان قاطع على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظيم سلطانه - قال قس بن ساعده[1] في إحدى خطبه : ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجراة ، إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لعبراً.

٣- النظر في خلق الإنسان وما فيه من العجائب :

يقول الله تعالى : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة الذاريات).

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة الروم).

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (سورة يس).

وقال تعالى : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ (آية ٣ من سورة التغابن).

---

(١) من خطباء العرب في الجاهلية .



وقال تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة التين).

في هذه الآيات يوجه الله الإنسان إلى أن ينظر في نفسه وعجيب خلقته وبديع تركيبه مما يدل على عظمة خالقه وعلمه وقدرته وحكمته ، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له . وأن هذا الإنسان مخلوق ضعيف محتاج إلى خالقه لا غنى له عنه طرفة عين فكيف يستكبر عن عبادة ربه . كيف يتجبر ويطغى ويظلم ويبغي ويجور . فأصله مخلوق من تراب حيث خُلق آدم أبو البشر - عليه السلام - الذي تناسلت منه هذه المجموعات البشرية الهائلة التي انتشرت في الأرض على امتدادها. كيف تحول هذا التراب إلى بشر وتخلق منه كائن حي عاقل مفكر ! وكيف نتجت عن هذا الكائن تلك المجموعات الهائلة والقرون المتتالية ! ثم من عجيب أمر هذا الإنسان ألا يتفكر في نفسه وعجيب خلقته . وحينما أخبر أن هناك حياة بعد الموت وداراً غير هذه الدار وأمر بالاستعداد لها استبعد هذا الأمر وأنكره . ونفى أن يكون هناك بعث ونشور. وكيف يمكن هذا في نظره وقد فنيت الأجسام وبليت العظام وتفرقت الأعضاء وتفككت الأوصال. نسي خلقه الأول وإيجاده من عدم وأن الذي قدر على البدء قادر على الإعادة من باب أولى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (سورة الروم) .

يقول العلامة ابن القيم : وهذا كثير في القرآن يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره . إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره. وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه . وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه . وهو غافل عنه معرض عن التفكر فيه . ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره . قال الله تعالى :

﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة عبس).

فلم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لنسمع لفظ النطفة والعلقة والمضغة والتراب ، ولا لنتكلم بها فقط ، ولا لمجرد تعريفنا بذلك ، بل لأمر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب [١].

---

(١) مفتاح دار السعادة صفحة ٢٠٥ ، ومراده بما وراء ذلك عبادة الله وحده حيث هو المتفرد بخلق هذا الإنسان الذي كفر بربه.

وهذا الإنسان حين يسأل يعترف بأن الله هو الذي خلقه :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الزخرف).

ومع هذا هناك من يتجه بعبادته إلى غير خالقه ويشرك مع الله من لا يملك له نفعاً ولا ضراً. ومن ثم كان جرمه أشد الجرم وذنبه أعظم الذنب ، ففي الحديث لما سئل النبي ﷺ : «**أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»[1] . وهو معترف أيضاً أن هؤلاء الشركاء الذين اتخذهم مع الله لا يملكون له موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة الروم).

لا أحد منهم يقدر ولو من باب المكابرة أو يتجرأ على أن يدعي أن هذه المعبودات الوثنية تقدر على الخلق والرزق والإماتة والإحياء ، فلماذا إذن يشركونها مع الله في العبادة مع قيام البرهان على بطلان عبادتها .

٤- ما جــاء في القـرآن الكـريـم :

ما جاء في القرآن الكريم من لفت النظر إلى قدرة الله تعالى على إيجاد الخلق في المادة الميتة الجامدة وإخراج الحي من الميت ومن بديع خلق الله وعجيب وباهر قدرته سريان الحياة في المواد الميتة ومن ذلك :

أولاً - خلق آدم من تراب :

قال تعالى :﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة الحجر).

﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ (سورة ص).

كيف تحول هذا التراب وهذا الطين إلى لحم ودم وعظم وعروق وسمع وبصر إلى غير ذلك !

ثانياً - خلق بني آدم من الماء :

قال تعالى :﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة الطارق).

---

(١) رواه البخاري ومسلم .



كيف خلق من هذا السائل المهين هذا الإنسان العجيب . قال الإمام ابن القيم رحمه الله : «فانظر الآن إلى النطفة بعين البصيرة ، وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر ولو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وأنتنت . كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلب والترائب منقادة لقدرته مطيعة لمشيئته مذللة الانقياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها . وكيف جمع سبحانه بين الذكر والأنثى وألقى المحبة بينهما . وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة إلى الاجتماع الذي هو سبب تخليق الولد وتكوينه . وكيف قدر اجتماع ذينك الماءين مع بعد كل منهما عن صاحبه ، وساقهما من أعماق العروق والأعضاء وجمعهما في موضع واحد جعل لهما قراراً مكيناً لا يناله هواء فيفسد . ولا برد فيجمد ولا عارض يصل إليه ولا آفة تتسلط عليه . إلى أن قال : فارجع إلى النطفة وتأمل حالها وما صارت إليه ثانياً . وأنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا لها سمعاً وبصراً أو عقلاً أو قدرة أو علماً أو روحاً . بل عظماً واحداً من أصغر عظامها بل عرقاً من أدق عروقها . بل شعرة واحدة لعجزوا عن ذلك . بل ذلك كله آثار صنع الله الذي أتقن كل شيء في قطرة من ماء مهين»[1] .

ثالثاً : إخراج الحي من الميت :

قال تعالى :﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ (آل عمران آية ٢٧).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ (الأنعام آية ٩٥).

ومعناه أن الله سبحانه يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة ، ويخرج النطفة من الحيوان . وقيل الفرخ من البيضة والبيضة من الطير . وقيل المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن[2] . والكل حاصل وهو دليل على عجيب قدرة الله ومحيط علمه بكل شيء .

رابعاً : سريان الحياة في المادة الميتة :

قال تعالى :﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سورة يس)

قال تعالى :﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة الحج).

---

(١) مفتاح دار السعادة صفحة ٢٠٥ ، ٢١٤ .

(٢) انظر تفسير البغوي (١/ ٢٩١).



أليس وجود تربة صالحة كوجود رحم صالحة وماء المطر كماء الفحل ، وتخلق النطفة في الرحم كتخلق البذرة في التربة . وخروج الزرع حياً نامياً كخروج الولد حياً نامياً . وهكذا إلى حصاد الزرع وموت الإنسان فهذان دليلان عقليان على صحة البعث [1] وقدرة الله تعالى ووحدانيته .

خامساً : الموجودات لابد لها من موجد ووحدة الخلق تدل على وحدانية الخالق :

النتيجة التي يوصل إليها النظر في هذه المخلوقات هي الاستدلال بها على خالقها وعظيم سلطانه ووجوب شكره وذكره وعبادته وحده لا شريك له . فإنها ما خلقت باطلاً ولا أوجدت عبثاً قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴾ (الآيات ١٩٠ - ١٩١ من سورة آل عمران).

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) ﴾ (سورة ص).

والأكثر من الخلق يعترفون ويصرخون بأن الله وحده هو الذي خلق هذه المخلوقات لكنهم يعبدون معه غيره ممن لم يخلق شيئاً :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١) ﴾

(سورة العنكبوت).

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) ﴾ (سورة يونس).

فليس القصد من النظر والاستدلال هو الإقرار بوجود الخلاق ؛ لأن الكفار على اختلاف أجناسهم ومللهم يقرون به، وإنما القصد إفراده بالعبادة وترك عبادة ما سواه . وإذا كان هناك من تظاهر بإنكار الخالق مكابرة وعناداً وتكبراً فهذا لا قيمة له في حساب البشرية العاقلة المفكرة ؛ لأنه قد ألغى عقله وسفه نفسه

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ١٤١ - ١٤٢).



وصار في عداد البُلْه والمعتوهين - قال الله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة الطور).

المعنى هل خلقوا من غير خالق . هذا لا يعقل لأن كل مخلوق لابد له من خالق - قضية يعرفها حتى الأطفال - وإذا كان لابد لهم من خالق فهل هم خلقوا أنفسهم ؟ هذا محال ؛ لأن الشيء لا يسبق وجوده ، وإذا كانوا عاجزين عن خلق أنفسهم فهم عاجزون عن خلق غيرهم من باب أولى : (أم خلقوا السموات والأرض) - لا - فيتعين أن لهم خالقاً هو الله سبحانه يجب عليهم أن يخضعوا له ويعبدوه وحده لا شريك له .

فواعجبا كيف يعصَى الإله	أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة	وتسكينة أبدا شاهد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه واحد

ووحدة هذا الخلق وفق نظام واحد كل يؤدي وظائفه المطلوبة منه طائعاً للذي :

﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (سورة طه).

لا يستعصي شيء منه عن أداء وظيفته ولا يؤدي وظيفة غيره مما يدل على أن خالقه ومدبره واحد ، إذ لو كان له عدة مدبرين لا ختل نظامه تبعاً لاختلاف إرادات المدبرين . قال تعالى :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة الأنبياء).

فدلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة . بل لا يكون الإله إلا واحداً. وعلى أنه لايجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى. وإن فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة . ومن كون الإله الواحد غير الله . وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره . فإن قيامه إنما هو بالعدل وبه قامت السموات والأرض [1] قال تعالى :

﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾ (سورة الرعد)

قال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (سورة المؤمنون آية ٩١).

---

(١) شرح الطحاوية صفحة ٢٥ .



فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر . فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر. فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة . بل إنْ قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلهية دونه فعل. وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق. كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه . فلابد من أحد ثلاثة أمور :

١ - إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .

٢ - وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

٣ - وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء . ولا يتصرفون فيه. بل يكون وحده هو الإله وهم العبيد [١].

الأسئلة :

١ - ما وجه الاستدلال بالخلق على وحدانية الخالق ؟ واذكر الأدلة على ذلك.

٢ - اذكر شيئاً من آيات الله الدالة على وحدانيته في خلق الأرض وما فيها.

٣ - اذكر شيئاً من أدلة وحدانية الله في خلق السماء ، وما المراد بالسماء ؟

٤ - اذكر شيئاً من أدلة وحدانية الله في خلق الإنسان.

٥ - اذكر وجه الاستدلال بخلق آدم وخلق بنيه على وحدانية الله وشيئاً من الآيات التي وردت بذلك.

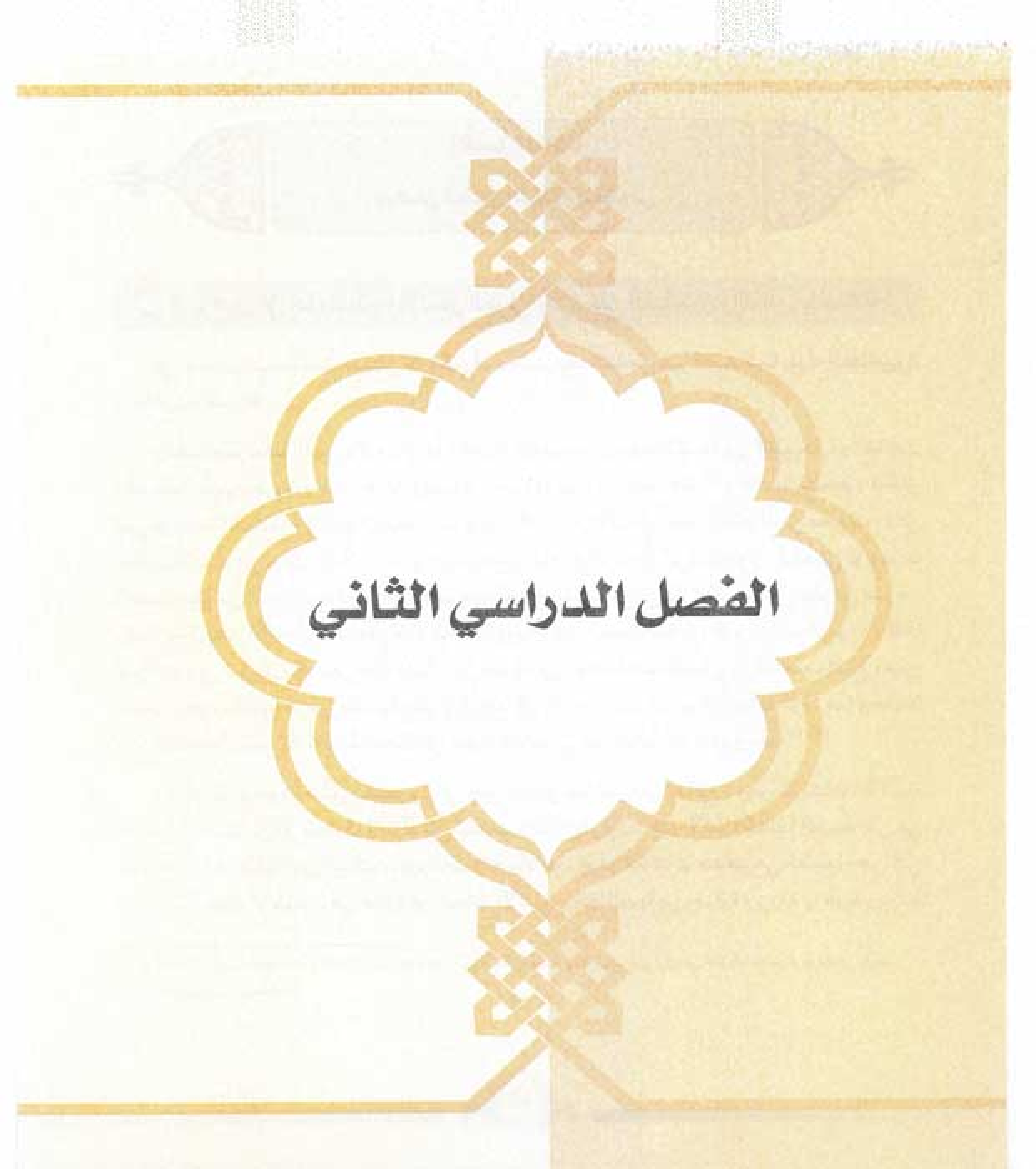
٦ - ما معنى إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي؟ وما وجه الاستدلال بذلك على وحدانية الله؟

٧ - ما وجه الاستدلال بإحياء الأرض على قدرة الله على إحياء الأموات يوم القيامة ؟

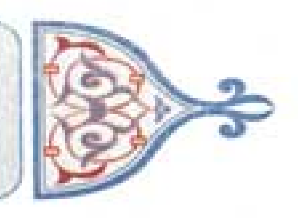
٨ - اذكر الاستدلال على أن المخلوقات لابد لها من خالق وموجد في العقل والنقل.

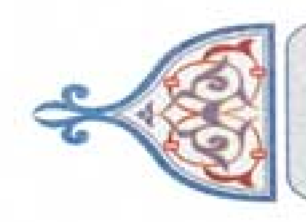
---

(١) شرح الطحاوية صفحة ٢٣- ٢٤ .



الفصل الدراسي الثاني





الفصل الثالث

برهان اتساق النظام الكوني

براهين الإرادة والنظام والإنسان الكوني والرد على الطبائعين والقائلين بالمصادفة :

كل نظام مركب متناسق مستقل لا يمكن أن يحدث مصادفة من غير قصد كما يقوله الطبائعيون والقائلون بالمصادفة .

والطبائعيون هم الذين ينكرون وجود الخالق وينسبون وجود الأشياء إلى الطبيعة ، والقائلون بالمصادفة مثلهم ينكرون وجود الخالق وينسبون وجود الأشياء إلى المصادفة [1] وكلاهما متخبط. فالخلق ليس هو وليد المصادفة ولا نتاج الطبيعة كما يقوله الملاحدة ؛ لأن كل مُحدَث لابد له من مُحدِث ، وكل مخلوق لابد له من خالق ، إذ لا يُعقل وجود مخلوق دون خالق ، ولا أثر دون مؤثر . فالصبي لو ضُرب لالتفت ينظر من الذي ضربه ، ولو قيل له لم يضربك أحد لم يقتنع بل يظل يبكي حتى ينتقم ممن ضَربه . ولهذا يحكى عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله : إن قوماً أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية ، فقال لهم أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها وتعود بنفسها فترسى بنفسها وتفرغ وترجع كل ذلك من غير أن يدبرها أحد فقالوا : هذا محال لا يمكن أبداً ، فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله [2] !!.

والمنكرون لوجود الخالق مضطربون في جوابهم عن هذا البرهان القاطع : وهو أننا نشاهد الأشياء تحدث شيئاً فشيئاً . وكل مُحدَث لابد له من مُحدِث - فتارة يقولون : هذه الأشياء تحدثها الطبيعة التي هي عبارة عن ذات الأشياء من النبات والحيوانات والجمادات . فهذه الكائنات عندهم هي الطبيعة وهي التي أوجدت نفسها . أو يقولون هي عبارة عن صفات الأشياء وخصائصها من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة

(١) أي أن الأشياء تحدث نتيجة اجتماع العناصر السالبة والموجبة ونحوها وتفاعلها بنفسها لا بسبب تدبير وارد من خالق لها ومقدر لوجودها في نظرهم.
(٢) شرح الطحاوية صفحة ٢١ .



وملاسة وخشونة . وهذه القابليات من حركة وسكون ونمو وتزاوج وتوالد . هذه الصفات وهذه القابليات هي الطبيعة بزعمهم ، وهي التي أوجدت الأشياء . وهذا قول باطل على كلا الاعتبارين ، لأن الطبيعة بالاعتبار الأول على حد قولهم تكون خالقة ومخلوقة ، فالأرض خلقت الأرض والسماء خلقت السماء وهكذا . وهذا مستحيل وإذا كان صدور الخلق عن الطبيعة بهذا الاعتبار مستحيلاً فاستحالته بالاعتبار الثاني أشد استحالة ؛ لأنه إذا عجزت ذات الشيء عن خلقه فعجز صفته من باب أولى ؛ لأن وجود الصفة مرتبط بالموصوف الذي تقوم به . فكيف تخلقه وهي مفتقرة إليه . وإذا ثبت بالبرهان حدوث الموصوف لزم حدوث الصفة . وأيضاً فالطبيعة لا شعور لها فهي آلة محضة فكيف تصدر عنها الأفعال العظيمة التي هي في غاية الإبداع والحكمة والإتقان . فإنك إذا نظرت إلى هذا الكون المنظم بأفلاكه وأرضه وسمائه وسير المخلوقات فيه بهذه الدقة والتنظيم العجيب تبين لك أنه لا يمكن أن يصدر إلا عن خالق حكيم هو الله :

﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ (١٦) (سورة الرعد).

وقد أعلن الله أنه هو الخالق وحده وتحدى هؤلاء الملحدين والمشركين بقوله :

﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ ﴾ (سورة لقمان آية ١١).

وبقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ (٣) (سورة فاطر).

وبقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ ﴾ (سورة الحج آية ٧٣).

وبقوله : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ (٧١) قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (٧٢) (سورة القصص).

وبقوله : ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ

حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴿٦١﴾ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون ﴿٦٢﴾ أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴿٦٣﴾ أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴿٦٤﴾ ﴾ (سورة النمل).

ولما قال النمرود : (أنا أحيي وأميت) قال له إبراهيم عليه السلام : ﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (سورة البقرة).

فانقطعت حجة المعاندين . وقامت حجة الله على الخلق أجمعين . قال بعض العلماء في الرد على أصحاب القول بنسبة إيجاد الأشياء إلى الطبيعة [1].

قل للطبيب الفيلسوف بزعمه	أن الطبيعة علمها برهاني
أين الطبيعة عند كونك نطفة	في البطن إذ مشجت به الماءان
أين الطبيعة حين عدت عُليقةً	في أربعين وأربعين ثوان
أين الطبيعة حين كونك مضغةً	في أربعين وقد مضى العددان
أترى الطبيعة صورتك مصوراً	بمسامع ومناظر وبنان
أترى الطبيعة أخرجتك مُنكّساً	من بطن أمك واهي الأركان
أم فجرت لك باللبان ثديها	فرضعتها حتى مضى الحولان
أم صيرتْ في والديك محبةً	فهما بما يرضيك مغتبطان

تنبيه :

مما يشبه قول أهل الطبيعة نسبة بعض أفعال الله تعالى إلى بعض مخلوقاته ، كنسبة نزول الأمطار إلى المناخات والمنخفضات الجوية أو إلى النجوم . وهو ما يسمى بالاستسقاء بالأنواء . وفي الصحيحين من حديث زيد بن خالد – رضي الله عنه – قال : «صلّى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر

(١) من النونية القحطانية .

سماء كانت من الليل. فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب». قال في فتح المجيد[1] : دل الحديث على أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره . ولو على سبيل المجاز - انتهى . ونسبة أفعال الله إلى غيره على نوعين : النوع الأول : أن ينسبها إلى غيره نسبة إيجاد كأن يعتقد أن نزول المطر بفعل النجوم وتأثيرها . وهذا شرك أكبر وكفر بالله تعالى يخرج من الملة ؛ لأنه جعل لله شريكاً في أفعاله . النوع الثاني : أن ينسبها إلى غير الله مجازاً وتساهلاً في التعبير مع اعتقاده أنها أفعال الله وحده فهذا محرم وشرك أصغر ، وكفرٌ أصغر لا يخرج من الملة ؛ لأنه لم يعتقد تأثير النوء بإنزال المطر فيكون من كفر النعم لعدم نسبتها إلى الذي أنعم بها .

ومثل هذا أيضاً نسبة الحوادث إلى الدهر ومسبة الدهر من أجل ذلك ، قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ (سورة الجاثية آية ٢٤).

أي ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون ، وليس هناك حياة أخرى نبعث إليها بعد الموت . ونسبوا إهلاكهم إلى الدهر ولم ينسبوه إلى الله ، وهذا قول الفلاسفة الدهرية وبعض مشركي العرب ، ومنهم من يسب الدهر لأنه يزعم أنه هو الذي يصيبه بالمصائب والمكاره . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار . وفي رواية : لا تسبوا الدهر فإني أنا الدهر».** قال البغوي في شرح السنة : ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر أي سبه عند النوازل ؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره . فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر . فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها ، فكان مرجع سبها فاعلها ، فكان مرجع سبها إلى الله عز وجل ، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يضيفونها . فنهوا عن سب الدهر ؛ لأن فاعل هذه الأمور التي سبوا الدهر من أجلها هو الله سبحانه وتعالى . فتكون مسبتهم للدهر مسبة لله تعالى لأن الدهر ليس له فعل في هذه الأمور . وليس معنى الحديث أن الدهر من أسماء الله تعالى، ولكن معناه كما بينه الحديث أن الله هو الذي يقلب الليل والنهار ويجري فيهما ما يحبه الناس وما يكرهونه - والله أعلم [2].

---

(١) انظر فتح المجيد صفحة ٢٦٤ .

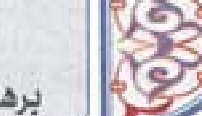
(٢) انظر فتح المجيد صفحة ٣٥٧ - ٣٥٨ .

ومثل ذلك ما ينسب إلى البروج من الحظوظ والنحوس والربح والخسارة كما ينشر في بعض المجلات من الأمور الجاهلية . ومثل هذا سب الريح فقد ورد النهي عنه في قوله ﷺ : **«لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به . ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به»** صححه الترمذي.

وذلك لأن الريح تهب بأمر الله فمسبتها مسبة للذي أمرها وسخرها ، فمسبتها من جنس مسبة الدهر . وبالجملة : تحرم نسبة الحوادث إلى الظواهر الكونية ، وقد تكون كفراً ، وقد تكون شركاً أكبر أو أصغر بحسب الاعتقاد في ذلك.

الأسئلة :

١ - ما وجه الاستدلال بوحدة الخلق على نظام واحد على وحدانية الخالق ؟ وما الدليل على ذلك من القرآن ؟
٢ - كيف ترد على من قال بأن هذه الموجودات وليدة المصادفة أو من نتاج الطبيعة ؟
٣ - ما الدليل على انفراد الله بالخلق وأن غيره لم يخلق شيئاً ؟

الفصل الرابع

برهان الكمال الإلهي وغناه عن كل مخلوق وفقر كل مخلوق إليه

من براهين التوحيد الكمال الإلهي . وذلك بأن يكون المعبود كاملاً كمالاً مطلقاً ، غنياً عما سواه وكل ما سواه محتاج إليه . وهذا لا ينطبق إلا على الله وحده . فهو الكامل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله . وما سواه ناقص من كل وجه ، وهو الغني عما سواه ، وما سواه محتاج إليه . إذاً فالله سبحانه هو المستحق للعبادة وحده لكماله وغناه وما سواه ، لا يستحق من العبادة شيئاً لنقصه وفقره ؛ لأن الكامل الغني يملك ما يطلب منه ويقدر عليه ، والناقص الفقير لا يملك ما يطلب منه ولا يقدر عليه ، وقد ورد ذكر هذا البرهان في آيات كثيرة من القرآن منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة فاطر).

فمن كماله الإلهي أنه مالك الملك ، ومن نقص ما سواه عدم الملكية لأحقر الأشياء.

٢ - قوله تعالى في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ فهو **(الأحد)** الذي انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال ، الذي له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا والأفعال المقدسة . الذي لا نظير له ولا مثل.

(الصمد) أي المقصود في جميع الحوائج ، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار يسألونه حوائجهم ، ويرغبون إليه في مهماتهم ؛ لأنه الكامل في أوصافه ، العليم الذي قد كمل في علمه ، الحليم الذي كمل في حلمه ، الذي وسعت رحمته كل شيء.

ومن كماله أنه **(لم يلد ولم يولد)** لكمال غناه عن غيره.

(ولم يكن له كفواً أحد) أي لا مثيل له في أسمائه ولا في صفاته ، ولا في أفعاله . تبارك وتعالى [١] فهو الغني عن الولد والوالد والشركاء لا شبيه له .

(١) انظر تفسير ابن سعدي (٧/ ٦٨٦) .



٣ - وقوله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (البقرة).

وهذه أعظم آية في كتاب الله - عز وجل - لما تشتمل عليه من ذكر صفات الله الكاملة، ونفي النقائص عن الله - سبحانه وتعالى - لغناه التام وفقر جميع المخلوقات إليه ، فأخبر أنه **(الله)** الذي له جميع معاني الألوهية فلا يستحق العبادة إلا هو **(الحي)** الذي له جميع معاني الحياة الكاملة من السمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات الذاتية **(القيوم)** الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع مخلوقاته . وأقام غيره من جميع الموجودات فأوجدها وأبقاها وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها . وهذا يدخل فيه جميع صفاته الفعلية **(لا تأخذه سنة)** وهي النعاس **(ولا نوم)** وذلك لكمال حياته وقيوميته ؛ لأن السِّنة والنوم من مظاهر العجز والضعف . ثم أخبر عن كمال ملكه فقال : **(له ما في السموات وما في الأرض)** وعن كمال سلطانه وهيبته فقال : **(من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)** وعن كمال علمه فقال : **(يعلم ما بين أيديهم)** من الأمور المستقبلة **(وما خلفهم)** من الأمور الماضية. وأخبرأن الخلق لا يعلمون إلا ما علمهم : **(ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)** فهم محتاجون إليه في تعليمهم ما يجهلون . ثم أخبر عن عظمته وجلاله حيث **(وسع كرسيه السموات والأرض)** وقد جاء أن الكرسي موضع القدمين وهو دون العرش ، وأخبر عن حفظه للسموات والأرض من الاختلال والزوال ، وأن ذلك لا يثقله ولا يشق عليه لكمال قدرته وسعة علمه فقال : **(ولا يؤوده حفظهما)** كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ (سورة فاطر آية ٤١).

ثم قال : **(وهو العلي)** الذي له علو الذات فوق المخلوقات وعلو القهر **(العظيم)** الجامع لصفات العظمة والكبرياء والكمال والبقاء.

وغير ذلك في القرآن كثير ، كما أنه سبحانه يذكر فقر المخلوقات إليه وبطلان عبادتها - كقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ (فاطر).

وقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (سورة النحل).



وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (سورة العنكبوت).

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة النحل).

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ ﴾ (الأعراف ١٩٤).

فكيف يُسَوَّى الناقص بالكامل ! وكيف يُسَوَّى العاجز بالقادر ! وكيف يُسَوَّى العبد المخلوق بالخالق ! ولهذا يدرك المشركون يوم القيامة إذا دخلوا النار يدركون ضلالهم في هذه التسوية حيث يقولون لمعبوديهم من دون الله :

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (سورة الشعراء).

٤ - ومن أدلة كماله إتقان الخلق وإحكامه :

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ ﴾ (سورة الملك آية ٣).

﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ (سورة السجدة آية ٧).

﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ ﴾ (سورة النمل آية ٨٨).

﴿ ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (سورة طه).

فإتقان الخلق وإحكامه وانضباطه يدل على كمال الخالق - سبحانه وتعالى - وأنه هو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

الأسئلة :

١ - اذكر نموذجاً من الأدلة القرآنية على كمال الخالق وغناه .

٢ - ما وجه الاستدلال بكمال الخالق وغناه على وجوب إفراده بالعبادة؟

الباب الثالث

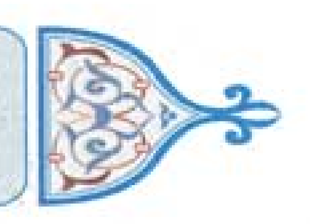
شمول العبادة

ويتكوّن من الفصول الآتية :



الفصل الأول

التوحيد المطلوب هو إفراد الله بالعبادة



عرفنا - فيما سبق - أن التوحيد ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات . فتوحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وجلب الخير ودفع الشر . وتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب والتعبد ، كالدعاء والنذر والنحر والخوف والرجاء والرغبة والرهبة والإنابة والتوكل وغير ذلك من أنواع العبادة المشروعة . وتوحيد الأسماء والصفات هو الإقرار بأسماء الله وصفاته التي سمى بها ووصف بها نفسه أو سماه ووصفه بها رسوله ﷺ .

فأسماؤه كالحي القيوم السميع البصير العليم القدير الخبير ، وصفاته كالسمع والبصر والوجه واليد والعلم والقدرة والإرادة - إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة.

فالنوع الأول من التوحيد وهو توحيد الربوبية قد أقر به الكفار ولم يدخلهم في الإسلام لأن الإقرار به وحده لا يكفي - قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾(سورة الزخرف).

وقال تعالى :

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ (سورة المؤمنون آية ٨٦ - ٨٧).

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (سورة الزخرف آية ٨٧).

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ (سورة يونس آية ٣١).

والتوحيد المطلوب والذي يُدخل في الإسلام هو توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله بالعبادة وهذا هو الذي جحده المشركون وبعث الله الرسل في الدعوة إليه - قال تعالى :



﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (سورة النحل آية ٣٦).

وهذا النوع من التوحيد هو الذي شُرع الجهاد من أجله قال تعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ (سورة الأنفال آية ٣٩).

وهو الذي أمر الله به عباده : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (سورة البينة آية ٥).

فإن قيل : ما وجه ذكر توحيد الربوبية في القرآن مع أن المطلوب هو توحيد الألوهية.

قيل : توحيد الربوبية إنما يذكر في القرآن من أجل الاستدلال على توحيد الألوهية لأنه مستلزم له .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة البقرة).

وهذا التوحيد هو معنى لا إله إلاَّ الله - فإن الإله معناه المعبود - أي لا معبود بحق إلا الله . وما سواه فعبادته باطلة . كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ (سورة الحج آية ٦٢).

وبهذا يظهر غلط من ظن أن معنى لا إله إلاَّ الله هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق والمدبر فيفسر هذه الكلمة بتوحيد الربوبية - والدليل على بطلان هذا التفسير لمعنى لا إله إلا الله أن النبي ﷺ قاتل المشركين وهم يقرون بتوحيد الربوبية . وقال : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**» الحديث[1]. فدل على أن معنى لا إله إلا الله ليس هو الإقرار بالربوبية ؛ لأن الإقرار بالربوبية موجود ولا يكاد أحد ينكره في العالم . ولو كان هو معنى لا إله إلا الله لم يستكبر المشركون عن قول هذه الكلمة - قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الصافات آية ٣٥ - ٣٦).

---

(١) الحديث متفق عليه .

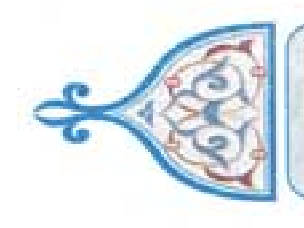


إذ كيف يستكبرون عن شيء يقرون به . وكذلك يخطئ بعض الكتاب المعاصرين حيث يفسرون لا إله إلا الله بالحاكمية . فيقولون معناها : لا حاكمية إلا لله - وهذا خطأ ؛ لأن الحاكمية جزء جانبي من معناها الذي هو إثبات العبودية لله ونفي الشرك.



الأسئلة :

١ - ما التوحيد المطلوب من العباد ؟ وما الدليل ؟




الفصل الثاني

معنى العبادة

العبادة هي الذل والخضوع مع المحبة . فقد عرفها بعض العلماء بأنها : غاية الذل مع غاية الحب. وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة . وقد خلق الله الخلق من أجلها قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (سورة الذاريات).

ولا تكون العبادة صحيحة إلا إذا كانت خالصة لله ليس فيها شرك وكانت موافقة لما شرعه . فَمَنْ عَبَدَ اللهَ مخلصاً له العبادة على وفق ما شرع فهو الموحد . ومن لم يعبده كان متكبراً ، ومن عبده وعبد معه غيره كان مشركاً . ومن عبده على غير ما شرع كان مبتدعاً مخرفاً . فالعبادة لا تكون صحيحة مقبولة إلا بشرطين : الإخلاص لله تعالى والمتابعة للرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (سورة البقرة).

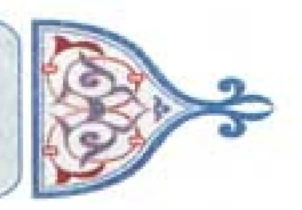
ومعنى : (أسلم وجه لله) أي أخلص عمله من الشرك.

ومعنى : (وهو محسن) أي متبع للرسول ﷺ فلم يكن في عمله بدعة ولا خرافة.



الأسئلة :

١ - عرف العبادة . وبَيِّن مكانتها وشروط صحتها .




الفصل الثالث

شمول العبادة لكل ما يقوم عليه المجتمع المسلم

العبادة كما سبق تشمل كل شؤون حياة المسلمين في العقيدة . بحيث تكون عقيدة المسلم خالصة لله سليمة من الشرك ومن المبادئ الهدامة والأفكار المنحرفة. وفي الشعائر التعبدية بحيث تكون وفق المنهج الذي شرعه الله ، سليمة من البدع والخرافات - فقوله ﷺ : «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» (١).

وفي قوله : «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢) . وفي الحكم بين الناس قال تعالى :

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ (المائدة آية ٥٠).

قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ (سورة النساء آية ٥٩).

قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (سورة النساء).

فتحكيم الشريعة عبادة لله وتوحيد له . وتحكيم النظم والقوانين البشرية كفر وشرك - قال تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة المائدة).

قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (الشورى آية ٢١).

وطاعة المخلوق في تحليل الحرام وتحريم الحلال شرك أيضاً ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (سور الأنعام).

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (سورة التوبة).

---

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه مسلم .



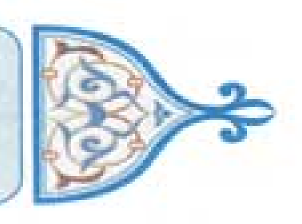
ولا يكفي أن يكون المقصود من تحكيم الشريعة إقامة العدل وتوفير الأمن فقط ، بل لا بد أن يكون المقصود الأعظم والأساسي هو التعبد لله بذلك وطاعة أمره وقبول شريعته . كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكذلك العبادة تشمل سلوك المسلم مع بني مجتمعه ، وتخلقه بأخلاق الإسلام من بره بوالديه ، وصلته لأرحامه ، ومواساته للفقراء والمحتاجين ، ومحبة الخير لإخوانه وإعانتهم على مصالحهم ، وكف أذاه عنهم ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم . فالعبادة تشمل فعل كل ما أمر الله به ورسوله، وترك كل ما نهى عنه ورسوله . وهذا يشمل كل حياة المسلم.



الأسئلة :

١ - ما الذي يشمله مسمى العبادة مع الاستدلال ؟

٢ - ما الدليل على أن مصادر العبادة مقصورة على ما ورد في الكتاب والسنة ؟

الفصل الرابع

الرد على الذين يرون عزل الدين عن الدولة

يحاول المستشرقون والمستغربون (الذاهبون مذهب الغرب في فهم الدين) يحاولون أن يعزلوا الدين والعبادة عن بقية شؤون الحياة ويحصروهما في نطاق ضيق من حياة المسلمين، فيجعلوهما فيما يمارسه المسلمون في المساجد من الصلاة والذكر. أو فيما بين العبد وبين ربه. ولا شأن للدين والعقيدة في شؤون الحكم والسياسة. ولا في شؤون الاقتصاد. ولا في الحكم بين الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم - إنما هذه الأمور بزعمهم من اختصاص القوانين الوضعية والنظم الأرضية تشريعاً وتطبيقاً - وهذا كفر بالله - عز وجل -، وعزل لسلطانه، وتعطيل لشرعه، وشرك في عبادته. لأن الدين والعبادة - كما أسلفنا - يشملان كل شؤون المسلمين. عقيدة، وعبادة، ومعاملة، وتحكيماً، وحكماً، وسلوكاً، وأخلاقاً. قال الله تعالى:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾

فالذي يقصر الإسلام على بعض الشعائر التعبدية ويعزله ويقصيه عن بقية شؤون الحياة يعتبره ناقصاً ويكذب قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ (سورة المائدة آية ٣).

وقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ (سورة النساء آية ٥٩).

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠ ﴾ (سورة الممتحنة).

إن الإسلام معناه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة وتلقي الأحكام منه:

﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ ﴾ (سورة يوسف آية ٤٠).

﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ (الشورى آية ٢١).

أما الذي يزعم أنه يؤمن بالله ويتلقى الأحكام من غيره هو كاذب في دعواه الإيمان قال تعالى:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾ (النساء آية ٦٠).



ما هذا التناقض ؟ هل يجتمع الإيمان بالله مع تحكيم الطاغوت وعدم الكفر به ! إن الكفر بالطاغوت شرط أساسي في صحة الإيمان بالله والاستمساك بدينه . قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ (البقرة آية ٢٥٦).

وأعظم من ذلك محاولة فصل توحيد الألوهية عن العقيدة بحيث تكون العقيدة المطلوبة في نظر بعض الضُلاّل هي الإقرار بتوحيد الربوبية . فإذا أقر به صار عندهم موحداً [1] ولو عبد غير الله من القبور والأولياء والصالحين .

الأسـئلة :

١ - كيف ترد على من يرى عزل الدين عن شؤون الحياة ؟ وما حكم من يرى ذلك أو يفعله مع الاستدلال ؟

(١) كما هو موجود في كتب العقائد المؤلفة على طريقة المتكلمين حيث يعرفون التوحيد بأنه الإقرار بوجود الله وأنه الخالق المدبر للكون إلى.. آخر ما يقولون.





الفصل الخامس



المنهج الإلهي لنظام الحياة هو منهج الإيمان بالله



قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (سورة آل عمران).

كان الناس قبل بعثة النبي ﷺ في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء . في عباداتهم ، حيث يعبدون الأصنام . وفي حكمهم وسياستهم حيث يحكّمون الطواغيت . ويعيشون على الغارات، والثارات والنهب والسلب والقلق والخوف . وفي اقتصادياتهم حيث يتعاملون بالربا والميسر وأكل الأموال بالباطل ، إلى غير ذلك من الضلال ، وكانوا مستضعفين في الأرض لا دولة تجمعهم ، ولا عقيدة تؤلف بينهم . فلما بعث الله النبي ﷺ أخرج الله به المؤمنين من الظلمات إلى النور ، فصحّت عقيدتهم ، واجتمعت كلمتهم ، وقامت دولتهم ، وتألفت قلوبهم ، وطابت مكاسبهم ، وقام اقتصادهم . وقد ذكّرهم الله بذلك في قوله : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ (آل عمران آية ١٠٣).

وفي قوله : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سورة الأنفال).

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (سورة البقرة).

هذا هو المنهج الإلهي لنظام الحياة منهج الإيمان بالله ورسوله والحكم بشريعته . وما عداه من المناهج البشرية المخالفة للمنهج الإلهي هو منهج الجاهلية - قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ



﴿ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (سورة المائدة)

فما عدا حكم الإسلام هو حكم الجاهلية - وإن سمي تقدماً ورُقياً . وإن كان عليه أكثر الخلق وأعظمهم تقدماً في الحضارة المادية . وكل دعوة بغير الإسلام هي دعوة جاهلية ، كالدعوة إلى القوميات والحزبيات والعنصريات ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات آية ١٣).

فالفضل إنما هو في الدين والتقوى لا في القوميات والعنصريات والحزبيات . وقد قال النبي ﷺ في خطبته يوم فتح مكة : «**يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ**[1] **الجاهلية وتعظمها بآبائها - فالناس رجلان : رجل بر تقي كريم على الله تعالى . ورجل فاجر شقي هيِّن على الله تعالى . إن الله عز وجل يقول :** ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات آية ١٣).

ثم قال ﷺ : «**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**»[2].

الأسئلة :

١ - اذكر الأدلة على أن المنهج الإلهي لنظام الحياة هو منهج الإيمان وحده ؟

٢ - ما حكم المناهج المخالفة للمنهج الإلهي ؟ وما الدليل على ذلك ؟

(١) عبية - بضم العين وكسر الباء مشددة وتشديد الياء مفتوحة - الكبر - النهاية لابن الأثير (٣/ ١٦٩).

(٢) رواه ابن أبي حاتم - تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٨) طبعة دار الأندلس وله شواهد عند أحمد وأبي داود والترمذي.

الباب الرابع

في الإيمان بأسماء الله وصفاته

ويتكوّن من الفصول الآتية :

الفصل الأول : الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على ثبوت الأسماء والصفات.

الفصل الثاني : منهج أهل السنة و الجماعة في أسماء الله وصفاته .

الفصل الثالث : الرد على من أنكر الأسماء والصفات أو أنكر شيئاً منها.



الفصل الأول

الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على ثبوت الأسماء والصفات



أ - الأدلة من الكتاب والسنة :

سبق أن ذكرنا أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وذكرنا جملة من الأدلة على النوعين الأولين - توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية - والآن نذكر الأدلة على النوع الثالث - توحيد الأسماء والصفات فإليك شيئاً من أدلة الكتاب والسنة قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

(سورة الأعراف).

أثبت الله سبحانه في هذه الآية لنفسه الأسماء وأخبر أنها حسنى . وأمر بدعائه بها - بأن يقال : يا اللهُ، يا رحمنُ ، يارحيم ، يا حي يا قيوم يارب العالمين . وتَوَعَّد الذين يلحدون في أسمائه - بمعنى أنهم يميلون بها عن الحق - إما بنفيها عن الله - أو تأويلها بغير معناها الصحيح أو غير ذلك من أنواع الإلحاد . توعدهم بأنه سيجازيهم بعملهم السيئ . وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ (سورة طه).

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة الحشر).

فدلت هذه الآيات على إثبات الأسماء لله .

ومن الأدلة على ثبوت أسماء الله من سنة الرسول ﷺ ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»[1] .

---

(١) متفق عليه .



وليست أسماء الله منحصرة في هذا العدد بدليل ما رواه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي**» الحديث[1] .
وكل اسم من أسماء الله يتضمن صفة من صفاته - فالعليم يدل على العلم ، والحكيم يدل على الحكمة ، والسميع البصير يدلان على السمع والبصر ، وهكذا كل اسم يدل على صفة من صفات الله تعالى
وقال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ (سورة الإخلاص).

عن أنس - رضي الله عنه - قال كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ (**قل هو الله أحد**) حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك في كل ركعة . فكلمه أصحابه فقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى . فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى . فقال ما أنا بتاركها . إن أحببتم أو أؤمكم بذلك فعلت. وإن كرهتم تركتكم . وكانوا يرون أنه من أفضلهم ، وكرهوا أن يؤمهم غيره . فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر . فقال : «**يا فلان ، ما يمنعك أن تفعل ما أمرك به أصحابك ، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة . قال : إني أحبها ، قال حبك إياها أدخلك الجنة**»[2] . وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سريّة وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ (**قل هو الله أحد**). فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : «**سلوه لأي شيء يفعل ذلك**» فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن . وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي ﷺ : «**أخبروه أن الله تعالى يحبه**»[3] . يعني أنها اشتملت على صفات الرحمن.

وقد أخبر سبحانه أن له وجهاً .

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾ (سورة الرحمن)

---

(١) رواه أحمد في المسند وصححه ابن حبّان - وقد دل على عدم حصر أسماء الله في تسعة وتسعين. فيكون المراد بالحديث - والله أعلم - أن من تعلم هذه الأسماء التسعة والتسعين ودعا الله بها وعبده بها دخل الجنة ويكون ذلك خاصية لها.
(٢ ، ٣) رواه البخاري في صحيحه.



وأن له يدين فقال ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (سورة ص آية ٧٥).

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (سورة المائدة آية ٦٤).

وأنه يرضى ويحب ويغضب ويسخط - إلى غير ذلك مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله.



ب - الدليل العقلي على ثبوت الأسماء والصفات :

أما الدليل العقلي على ثبوت الأسماء والصفات التي دل عليها الشرع فهو أن يقال :

١ - هذه المخلوقات العظيمة على تنوعها واختلافها وانتظامها في أداء مصالحها وسيرها في خططها المرسومة لها تدل على عظمة الله ، وقدرته ، وعلمه ، وحكمته ، وإرادته ، ومشيئته.

٢ - الإنعام ، والإحسان ، وكشف الضر ، وتفريج الكربات هذه الأشياء تدل على الرحمة والكرم والجود.

٣ - والعقاب ، والانتقام من العصاة يدلان على غضب الله عليهم وكراهيته لهم.

٤ - وإكرام الطائعين وإثابتهم يدلان على رضى الله عنهم ومحبته لهم.

الأسئلة :

١ - اذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الأسماء والصفات لله عز وجل.





الفصل الثاني

منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته

منهج أهل السنة والجماعة من السلف الصالح وأتباعهم إثبات أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة وينبني منهجهم على القواعد الآتية :

١ - أنهم يثبتون أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة على ظاهرها وما تدل عليه ألفاظها من المعاني - لا يؤولونها عن ظاهرها ، ولا يحرفون ألفاظها ودلالتها عن مواضعها .

٢ - ينفون عنها مشابهة صفات المخلوقين - كما قال تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة الشورى).

٣ - لا يتجاوزون ما ورد في الكتاب والسنة في إثبات أسماء الله وصفاته . فما أثبته الله ورسوله من ذلك أثبتوه وما نفاه الله ورسوله نفوه. وما سكت عنه الله ورسوله سكتوا عنه.

٤ - يعتقدون أن نصوص الأسماء والصفات من المحكم الذي يفهم معناه ويفسر وليست من المتشابه. فلا يفوضون معناها ، كما ينسب ذلك إليهم مَن كذب عليهم أو لم يعرف منهجهم.

٥ - يفوضون كيفية الصفات إلى الله تعالى ولا يبحثون عنها.

الأسـئلة :

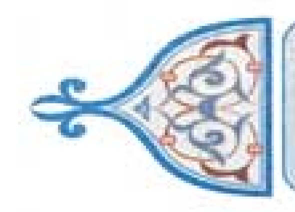
١ - بيّن منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.

٢ - اذكر القواعد التي ينبني عليها مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.



الفصل الثالث

الرد على من أنكر الأسماء والصفات أو أنكر بعضها



الذين ينكرون الأسماء والصفات ثلاثة أصناف :

١ - الجهمية : وهم أتباع الجهم بن صفوان - وهؤلاء ينكرون الأسماء والصفات جميعاً.

٢ - المعتزلة : وهم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري - وهؤلاء يثبتون الأسماء على أنها ألفاظ مجردة عن المعاني وينفون الصفات كلها.

٣ - الأشاعرة [١] والماتوريدية [٢] ومن تبعهم : وهؤلاء يثبتون الأسماء وبعض الصفات وينفون بعضها .

والشبهة التي بنوا عليها جميعاً مذاهبهم هي الفرار من تشبيه الله بخلقه بزعمهم ، لأن المخلوقين يسمون ببعض تلك الأسماء ويوصفون بتلك الصفات فيلزم من الاشتراك في لفظ الاسم والصفة ومعناهما الاشتراك في حقيقتهما وهذا يلزم منه تشبيه المخلوق بالخالق في نظرهم - والتزموا حيال ذلك أحد أمرين :

أ - إما تأويل نصوص الأسماء والصفات عن ظاهرهما - كتأويل الوجه بالذات . واليد بالنعمة.

ب - وإما تفويض معاني هذه النصوص إلى الله فيقولون الله أعلم بمراده منها ، مع اعتقاد أنها ليست على ظاهرها.

وأول من عُرف عنه إنكار الأسماء والصفات بعض مشركي العرب الذين أنزل الله فيهم قوله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾

(سورة الرعد آية ٣٠).

وسبب نزول هذه الآية أن قريشاً لما سمعت رسول الله - ﷺ - يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ - وذكر ابن جرير أن ذلك كان في صلح الحديبية حين كتب الكاتب في قضية الصلح الذي جرى بينهم وبين رسول الله ﷺ : (**بسم الله الرحمن الرحيم**) فقالت قريش : أما

---

(١) هم أتباع مذهب أبي الحسن الأشعري قبل رجوعه إلى مذهب أهل السنة ، ولم يرجعوا عما رجع عنه .

(٢) هم أتباع مذهب أبي منصور الماتوريدي .



الرحمن فلا نعرفه . وروى ابن جرير أيضاً عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يدعو ساجداً يقول : «يا رحمن يا رحيم» فقال المشركون : هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو مثنى . فأنزل الله :

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الإسراء آية ١١٠).

وقال تعالى في سورة الفرقان : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ ﴾ (سورة الفرقان آية ٦٠).

فهؤلاء المشركون هم سلف الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، وكل من نفى عن الله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسول ﷺ من أسماء الله وصفاته . وبئس السلف لبئس الخلف .

والرد عليهم من وجوه :

الوجه الأول :

أن الله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات وأثبتهما له رسول ﷺ فنفيها عن الله أو نفي بعضها نفي لما أثبته الله ورسوله ، وهذا محادّة لله ورسوله .

الوجه الثاني :

أنه لا يلزم من وجود هذه الصفات في المخلوقين أو من تسمى بعض المخلوقين بشيء من تلك الأسماء المشابهة بين الله وخلقه ؛ فإن لله سبحانه أسماء وصفات تخصه وللمخلوق أسماء وصفات تخصه . فكما أن لله سبحانه وتعالى ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين فله أسماء وصفات لا تشبه أسماء المخلوقين وصفاتهم ، والاشتراك في الاسم والمعنى العام لا يوجب الاشتراك في الحقيقة ، فقد سمى الله نفسه عليماً حليماً وسمى بعض عباده عليماً فقال : ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ (الذاريات ٢٨). يعني إسحاق ، وسمى آخر حليماً فقال : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (الصافات ١٠١) يعني إسماعيل ، وليس العليم كالعليم ولا الحليم كالحليم ، وسمى نفسه فقال إن الله سميعاً بصيراً وسمى بعض عباده سميعاً بصيراً فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (سورة الإنسان) وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير . وسمى نفسه بالرؤوف الرحيم فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحج ٦٥).

وسمى بعض عباده رؤوفاً رحيماً فقال: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (سورة التوبة).

وليس الرؤوف كالرؤوف ولا الرحيم كالرحيم، وكذلك وصف نفسه بصفات، ووصف عباده بنظير ذلك - مثل قوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ (البقرة ٢٥٥) فوصف نفسه بالعلم ووصف عباده بالعلم فقال: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء ٨٥) وقال: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ وقال: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (القصص ٨٠) ووصف نفسه بالقوة فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج ٧٤) ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (سورة الذاريات) ووصف عباده بالقوة فقال: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ (الروم ٥٤)

إلى غير ذلك ومعلوم أن أسماء الله وصفاته تخصه وتليق به. وأسماء المخلوقين تخصهم وتليق بهم. ولا يلزم من الاشتراك في الاسم والمعنى الاشتراك في الحقيقة وذلك لعدم التماثل بين المسميين والموصوفين وهذا ظاهر والحمد لله.

الوجه الثالث:

أن الذي ليس له صفات كمال لا يصلح أن يكون إلهاً، ولهذا قال إبراهيم لأبيه:

﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ (سورة مريم آية ٤٢).

وقال تعالى في الرد على الذين عبدوا العجل:

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ (سورة الأعراف آية ١٤٨).

الوجه الرابع:

إن إثبات الصفات كمال - ونفيها نقص - فالذي ليس له صفات إما معدوم وإما ناقص - والله تعالى منزه عن النقص.

الوجه الخامس :

أن تأويل الصفات عن ظاهرها لا دليل عليه فهو باطل ، وتفويض معناها يلزم منه أن الله خاطبنا في القرآن بما لا نفهم معناه مع أنه أمرنا أن ندعوه بأسمائه . فكيف ندعوه بما لا نفهم معناه - وأمرنا بتدبر القرآن كله فكيف يأمرنا بتدبر ما لا يُفهم.

فتبين من هذا أنه لا بد من إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله مع نفي مشابهة المخلوقين كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ (سورة الشورى)

فنفى عن نفسه مماثلة الأشياء ، وأثبت له السمع والبصر فدل على أن إثبات الصفات لا يلزم منه التشبيه. وعلى وجوب إثبات الصفات مع نفي المشابهة - وهذا معنى قول أهل السنة والجماعة: إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل - وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

الأسئلة :

١ - اذكر طوائف الذين أنكروا الأسماء والصفات أو أنكروا بعضها . وما شبهتهم في ذلك؟

٢ - كيف ترد على منكري الأسماء والصفات أو شيء منها ؟

فهرس الموضوعات

